

ابن سينا

الشفاء

للمنطق

٨ - الخطابة

تصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور
حققه الدكتور محمد سليم سالم

لشروزة المعارف العمومية
الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

مَشْهُورَاتُ مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمَرْعَشِيِّ النَجَافِيِّ
قَمِ الْمَقْدِسَةِ - إِيْرَانِ ١٤٠٤ هـ

فهرس الكتاب

صفحة

رموز المخطوطات	(٥)
تصدير	(١)
مقدمة	(١١)

المقالة الأولى

الفصل الأول — في منفعة الخطابة	١
» الثاني — في عمود الخطابة وأجزائها والتفريق بينها وبين الجدل	٦
» الثالث — في الأغراض التي تختص بالخطيب وكيفيةها	١٣
» الرابع — في مشاركات الخطابة لصنائع أخرى ومخالفتها لها	٢٢
» الخامس — في شرح حد الخطابة وختم الكلام في قسمة أجزائها ومناسبتها لصنائع أخرى	٢٨
» السادس — في العمود وهو التثبيت وفي أقسامه	٣٥
» السابع — في مثل ذلك	٤٥

المقالة الثانية

الفصل الأول — في الأغراض الأولية للخطيب فيما يحاوله من إقناع والابتداء بمواضع المشورات وأنواعها وأولها بالمشورات في الأمور العظام	٥٣
» الثاني — في المشورات التي في الأمور الجزئية غير العظام	٦٤
» الثالث — في الأشد والأضعف وختم القول في المشورات	٧٦
» الرابع — في المناغريات وهو باب المدح والذم	٨٣
» الخامس — في شكايه الظلم والاعتذار بأنه لا ظلم	٩٣
» السادس — في أسباب اللذة الداعية إلى الجور	٩٩
» السابع — في الأسباب المسهلة للجور ، كانت في نفس ما جربه أو في الجائر أو في المجبور	١٠٤

- الفصل الثامن — في التنصل والاعتذار وجواب الشاكي بتعظيم الجناية والمعتذر بتصغيرها ١١١
- » التاسع — في التصديقات التي ليست عن صناعة ١١٧

المقالة الثالثة

- الفصل الأول — في المحاطبات الاستدارجية ١٢٩
- » الثاني — في أنواع الصداقة والأمن والخوف والشجاعة والجلين ١٣٥
- » الثالث — في أنواع الاستحياء وغير الاستحياء والمنة ١٤٢
- » الرابع — في أنواع الاهتمام بالمرء والشفقة عليه والحسد والنقمة والغيرة والحمية والاستخفاف ١٤٧
- » الخامس — في مواضع نحو اختلاف الناس في الأخلاق ١٥٦
- » السادس — في الأنواع المشتركة للأموال الخطائية ١٦٤
- » السابع — في الفرق بين المقدمات الجدلية والخطائية وفي إعطاء أنواع نافعة في التصديقات بأصنافها ١٧٦
- » الثامن — في الضمائر المحرفة المقبولة في الخطابة والمردولة المغالطية منها وفي أصناف المقاومات ١٨٧

المقالة الرابعة

- الفصل الأول — في التحسينات واختيار الألفاظ للتعبيرات ١٩٧
- » الثاني — في إشباع الكلام في اجتناب ما يهجن اللفظ واختيار ما يحسنه وما يحسن في الشعر ولا يحسن في الخطابة وما يحسن فيهما معاً ... ٢١٣
- » الثالث — في وزن الكلام الخطابي واستعمال الأدوات فيها والنبرات وما يجب من ذلك بحسب مخاطبة مخاطبة خطابية وما يحسن مسموعاً على الأسماء وما يحسن في مجالس الخواص وما يحسن مخاطبة وما يحسن كتابة ... ٢٢٦
- » الرابع — في أجزاء القول الخطابي وترتيبها وخاصيتها في كل باب من الأبواب الثلاثة وما يفعله المحييب فيها ٢٣٦
- » الخامس — في السؤال الخطابي وأنه أين ينبغي وفي الجواب وفي خاتمة الكلام الخطابي ٢٤٥
- فهرس الأعلام ٢٤٩
- دليل الكتاب ٢٥١

رموز المخطوطات

- بجيت ... (ب)
- بجيت (هامش) ... (بج)
- حسن العطار ... (ح)
- دار الكتب ... (د)
- دار الكتب (١) ... (د١)
- سليمانية داماد ... (س)
- داماد الجديد ... (سا)
- متحف بريطاني ... (م)
- نور عثمانية ... (ن)
- مكتب هندي ... (هـ)
-

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للدكتور إبراهيم مذكور

البلاغة عند ابن سينا

لم يكن ابن سينا خطيبا ولا محاضرا ، ولئن كان قد اشتغل بالسياسة فإنها لم تفسح له المجال لمخاطبة الجماهير والتأثير فيها . وأستاذه أقرب الى المحادثة والتلقين منها الى العرض والشرح ، ذلك لأنه لم يقم بالتدريس في مسجد أو مدرسة ، وإنما التف حوله نفر قليل من التلاميذ والأتباع الذين كانوا يسجلون ما يمليه عليهم أو يتدارسون في حضرته بعض كتبه ورسائله ؛ وإن استعجم عليهم أمر استوضحوا عنه . على أنه في حياته القلقة المضطربة لم ينعم كثيرا بتلك الجلسات العلمية الهادئة .

ولا يمكن أن يعد أيضا كاتباً ولا شاعراً ، لأن أثره لا يخلو من غموض وتعقيد ، وإن روى فيه بدامركا تركيزاً مضنياً ، وقد يتأنق فيسجع ويعنى بالصناعة اللفظية . ونظمه في أغلبه تعليمي يقوم على أداء المعاني واستكمال الحقائق ، دون حرص على جزالة اللفظ وسمو التركيب . وأسلوبه في جملته لا يسمو إلى مستوى الأساليب الأدبية الممتازة ، وإنما كان همه أن يعرض القضايا العلمية والفلسفية بطريقة واضحة ما أمكن .

ولم يعن بالأدب عناية خاصة ، ولم يقف عليه شيئا يذكر من كتبه ورسائله .
وأغلب الظن أنه لم يكتب في الخطابة والشعر إلا محاكاة لأرسطو وسيرا على سننه ، وهو
في هذا أقرب إلى التشريع والتقنين منه إلى النقد والتحليل ، يعرض القاعدة والنظرية
دون أن يقف عند الأمثلة والنماذج الأدبية . وما الخطابة والشعر في رأيه إلا بابان
من أبواب الجدل والمنطق ، أو بعبارة أخرى فرعان من فروع الفلسفة .

*
* *

ولابن سينا كتابان هاما في الخطابة ، يصدران عن أصل واحد ، ويكونان
جزءا من المنطق ، يلتقيان فيما اشتملا عليه من آراء ونظريات ، أحدهما مختصر
والآخر مبسوط .

والأول ” في معاني كتاب ريتوريقا “ ، وهو قسم من ” الحكمة
العروضية “ ، أو ” كتاب المجموع “ الذي ألفه في بخارى ، ولما يجاوز
الحادية والعشرين ، بناء على طلب أبي الحسن العروضي . ويقوم على تعريف
الخطابة ، وبيان منفعتها ، وصلاتها بالجدل ، وأغراض الخطيب ، ووسائل
الاستدلال ، ويعرض في اختصار المبادئ الأساسية للفن الخطابي^(١) . وكل
ذلك في أسلوب واضح مترج فيه الجدل بالسياسة ، والمنطق بالأخلاق وعلم
النفس ، وهو بهذا يعتبر ملخصا دقيقا للكتاب الأول من ” خطابة أرسطو “ ،
ومقدمة صالحة لفن البلاغة عند ابن سينا .

والثاني ” الخطابة “ — موضوع تحقيقنا — وهو الفن الثامن من فنون
المنطق التي تكون الجملة الأولى من جمل ” الشفاء “^(٢) . ويشتمل على أربع

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١٥ — ٧٦ .

(٢) ابن سينا ، المدخل ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٤٤ .

مقالات ، وتحت كل مقالة عدة فصول . وتقف المقالة الأولى عند شرح حد الخطابة ، ومنفعتها ، وصلتها بالصنائع الأخرى ، ووسائل الاستدلال . وهي أشبه ما يكون بمقدمة عامة للكتاب جميعه ، وفي هذا ما يقربها كل القرب من "معانى كتاب ريتوريقا" ، وإن كانت أشمل بحثا وأعز مادة^(١) .

وتفصل الثانية القول فى أنواع الاستدلال الخطابى ، وخاصة المشورات والمنافرات ، محالة إياها فى ضوء الطباع والميول والانفعالات ، من لذة وألم ، وحب وكره ، فتربط الخطابة بالسيكولوجيا ربطا وثيقا^(٢) . وتوضح الثالثة المشاجرات ، وهى النوع الأخير من الاستدلال الخطابى ، مبينة صلتها بالسياسة والسجاياء الخلقية ، من شفقة وقسوة ، وشجاعة وجبن^(٣) . وتعالج الرابعة ترتيب القول الخطابى وخصائصه ، والتحسينات اللفظية ، والألفاظ المستعجنة ، وبذا تكتمل آراء ابن سينا البلاغية^(٤) .

ويمكن أن ترد هذه الآراء إلى باين رئيسيين : يدور أولها حول الأقيسة البلاغية الصالحة لمخاطبة الجماهير مدحا أو ذما ، اعتذارا أو عتبا . وأهم هذه الأقيسة الضمير (ἐνθύμημα = enthymème) ، والتثليل (παραδειγμα = exemple) . ويدور الثانى حول الترتيبات والتحسينات التى تجعل هذه الأقيسة أوضح عرضا ، وأكثر إقناعا ، كتخير اللفظ ، وتحديد مكانه فى الجملة ، واستعماله على طريق الحقيقة أو المجاز ، وكيفية نطقه ، ونعمة الصوت ونبراته ، وهيئة الخطيب وموقفه من المستمعين . دراسة موضوعية وقف عليها

(١) ابن سينا ، الخطابة ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١ — ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣ — ١٢٦ .

(٣) » » ، ص ١٢٩ — ١٩٣ .

(٤) » » ، ص ١٩٧ — ٢٤٧ .

ابن سينا المقالات الثلاث الأولى من كتابه ، وأخرى شكلية عرضها في المقالة الرابعة والأخيرة ؛ والدراستان متصلتان ومتكاملتان .

١ - الضمير :

وهو قياس اكتفى بمقدمته الصغرى، وأهملت الكبرى ، خشية ظهور كذبها أو إمكان معارضتها ، كقول القائل : هذا الشاب متردد في ظلمة الليل ، فهو إذن منتهز لفرصة التلصص ، وفي هذا ما يكفي للإقناع الخطابي . ولو ذكرت الكبرى ، وقيل : كل متردد في ظلمة الليل منتهز لفرصة التلصص ، لبان تهافت الدليل وفات الإقناع المنشود^(١) . والضمير من الخطابة كالبرهان من العلوم ، فهو استدلال ظني يلائم الإقناع العابر ومخاطبة الجماهير^(٢) . ويبدل ابن سينا الجهد كله في تطبيقه على أنواع الاستدلال الخطابي ، من مشورات ومنافرات ومشاجرات . ومن الضمائر ما هو محرف ، ومع ذلك يقبل في الخطابة . ومنها ما هو معيب مرذول يقصد به المغالطة ، وواجب الخطيب أن يتحرز منه^(٣) .

٢ - التمثيل :

وهو الحكم على جزئى بمثل ما في جزئى آخر يشترك معه أو يشابهه في معنى جامع . وقد يكون هذا الاشتراك والمثابة حقيقيين ، أو بحسب الرأى الدائع أو الظاهر ، وقد تكون الصلة مجرد اشتراك في الاسم^(٤) . ومن هنا كان التمثيل دليلا غير يقينى ، وأقواه ما كان المعنى المتشابه فيه هو الموجب للحكم في الشبيه^(٥) . أما أوجه

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٣) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١٨٧ - ١٩٠ .

(٤) ابن سينا ، الاشارات ، ليدن ، سنة ١٨٩٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ كتاب المجموع ، ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

الاشتراك الأخرى فلا تفيد إلا ظنا ، وتكسب الجماهير ضربا من الاقتناع .
وهذا التمثيل المنطقي هو الذى اصطلح الفقهاء على تسميته بالقياس ^(١) . ومن
القدامى من لم يوافق على استعماله فى الاستدلال الخطابى ، واقتصر على الضمير ^(٢) .
وأنكره فى الإسلام أيضا بعض أنصار الظاهر ، كالروافض والداودية من نفاة
القياس ^(٣) .

واضح أن ابن سينا إنما يعرض فى كل هذا نظريات منطقية ، سبق له أن
عالجها فيما سماه ”لواحق القياس“ ، وقرر أنها لا تسمو إلى مستوى الاستدلال
اليقينى ^(٤) . وكل ما أضافه من جديد هنا إنما هو محاولة تطبيقها على الاستدلال
البلاغى ، وفى هذه المحاولة يسترسل فى دراسات سياسية وأخلاقية وسيكولوجية .
ولم يفته أن يشير إلى أن هناك أدلة خطابية غير هذه الأدلة المنطقية ، ومنها
الشهود ، والعهود ، والأيمان ^(٥) .

٣ — البحث البلاغى الخالص :

ما إن فرغ ابن سينا من هذا حتى عرض لموضوعات تمس أقسام البلاغة
المختلفة ، من معانى ، وبيان ، وبديع . فيدعو إلى ضرورة تخير الألفاظ
وفصاحتها ومطابقتها لمقتضى الحال ، ذلك لأن درجة الاقتناع بمعنى تخضع للفظ
الذى يؤديه ، وكثيرا ما آذن اللفظ الجزل بجزالة المعنى ، ورصانة التعبير تفتقر

(١) المصدر نفسه .

(٢) » » .

(٣) » » .

(٤) ابن سينا ، النجاة ، القاهرة ، سنة ١٩١٣ ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٥) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١١٧ — ١٢٦ .

عادة بعمق التفكير ، وقد يجعل اللفظ السفساف المعنى سفسافا أيضا^(١) . وما أخرج الخطيب لأن يوجز حيث ينبغي الإيجاز ، ويطنب في مقام الإطناب^(٢) .

وفي الاستعارة والتشبيه ما يؤكد المعنى ويقويه ، لأنهما يبعثان على الاستغراب والتعجب الذى يستولى على السامع ويأسر له^(٣) . والاستعارة ، وإن كانت إلى الشعر أقرب ، مفيدة في النثر كذلك ، والمهم هو حسن استعمالها ووضعها في المكان الملائم لها^(٤) . وقيمة كل استعارة فيما أخذت عنه وما استعملت فيه ، فكما كان المستعار منه لطيفا معروفا ، كان الانتقال إلى المستعار إليه يسيرا . والتشبيه يجرى في الخطابة بجرى الاستعارة ، وينفع نفعها ، ومن أمثلته : وثب أخيل كالأسد^(٥) .

لسنا في حاجة أن نلاحظ أن ابن سينا يصدر في كل هذا عن أرسطو ، يردد آراءه ، ويرد على معارضيه ، ويقدم لنا في ” الخطابة ” أوضح صورة عربية لما كتبه المعلم الأول باليونانية^(٦) . وقد يختلف عنه في بعض التفاصيل والجزئيات ، كتبويب الكتاب ، وتعريف بعض المصطلحات ، ولكن آراءه البلاغية تحمل شارة أرسطية واضحة . ولعله في حرصه على تأثر خطا استاذه لم يحاول أن يمزج هذه الآراء بالأدب العربي المزج الذى كنا نرتجيه .

• •

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ — ٢١٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٦) الدكتور طه حسين ، قد النثر ، القاهرة سنة ١٩٣٣ ، ص ٢٤ — ٢٧ .

ولم يبق اليوم شك في أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة ، وبالمنطق على الأخص^(١). وقديما فرقوا بين الطريقة الكلامية والأدبية ، وما الأولى الا درس للبلاغة في ضوء الكلام والفلسفة^(٢). وفي تاريخ هذه البلاغة ما يشهد بأن معظم من كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون، ويكفى أن نشير إلى قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني اللذين يعدان بحق في مقدمة مؤسسيها^(٣).

ولا شك في أن منطق أرسطو — والخطابة من أجزائه — كان أكثر نفوذا الى البلاغة العربية ، ارتبط بها منذ نشأتها ، وسارها حتى وصلت القمة . وفي ثناياها بحوث منطقية متنوعة في الألفاظ والقضايا والأقيسة ، لأنها كانت تعتبر ضرورية للبحث البياني ضرورة الأبحاث اللغوية والنحوية ، ومتممة لعلم المعاني الذي يقوم على الحد والاستدلال^(٤).

وتشاء الصدف أن يكون منطق أرسطو من أولى كتبه ترجمة إلى العربية ، بحيث استطاع أن يلتقي مع نشأة البلاغة^(٥). ويظهر أن "كتاب الخطابة" بالذات ترجم غير مرة ، وكانت ترجمته الأولى مبكرة في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة^(٦). ولقد لخصه فلاسفة الإسلام أو علقوا عليه وشرحوه ،

(١) المصدر السابق ؛ أمين الخولي ، البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، القاهرة سنة ١٩٣١

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ — ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤ — ٨ .

(٤) السكاكي ، مفتاح العلوم ، القاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ص ٧٠ .

(٥) Madkour—L'Organon d'Aristote dans le monde Arabe, Paris, 1924, p. 27-29.

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة أوروبا ، ص ٢٤٤ .

وابن سينا - فيما وصلنا - أوضحهم شرحا وأكثرهم تحليلا . وفي نشر كتابه في " الخطابة " اليوم ما يلقي ضوءا جديدا على البلاغة العربية ومدى صلتها بالبلاغة اليونانية .

وقد اضطلع بهذا النشر الدكتور محمد سليم سالم ، فتوفر عليه منذ أربع سنوات أو يزيد ، جامعا للخطوط وموازنا بينها . واكتمل له منها تسع متفاوتة الرتبة ، إلا أنها كافية لتحقيق النص المعروف ^(١) . على أنه لم يقف عندها ، بل رجع إلى الأصل اليوناني " لخطابة " أرسطو ، وكان لابد له أن يفعل . لأن ابن سينا نفسه تمنى هذا ، وأشار غير مرة إلى ورود أمور على لسان أرسطو لم يتيسر له فهمها ^(٢) . وأعان المحقق على ذلك تمكنه من اليونانية وإحاطته بأدائها ، فهو استاذ الدراسات القديمة بجامعة ابراهيم . هذا إلى أنه ليس حديث العهد بالخطابة عند ابن سينا ، فقد سبق أن نشر " في معاني كتاب ريتوريقا " ، الذي أشرنا إليه من قبل نشرنا دقيقا .

وأضف إلى هذا التحقيق مقدمة عرض فيها للدارس البلاغية اليونانية التي وردت على ألسنة مفكرى الإسلام ، والتي كان لآرائها شأن خاص في بلاغة أرسطو وتلاميذه . ثم ختم بفهرس للأعلام ودليل للكتاب . وبذا ساهم بنصيب ملحوظ في نشر " كتاب الشفاء " الذي يتطلب جهودا متضافرة .

ولا شك في أن نشر " كتاب الخطابة " على هذا النحو سيفتح أبوابا لدراسات مختلفة ، ويحيي معلمي من معالم التراث الإسلامى .

(١) ص (٢٤) - (٣٠) .

(٢) ص (٢٠) .

مقدمة

للدكتور محمد سليم سالم

الخطابة قبل أرسطو :

نشأت الخطابة كفن يلقن وقواعد تبحث في جزيرة صقلية وذلك على أثر الأحداث التي مرت بالجزيرة بعد طرد الطغاة^(١) ، وما تلاه من عودة الحياة الديمقراطية ورجوع من شردهم الطغيان ومطالبتهم بأموالهم المصادرة وتعدد المنازعات وقيام الدعاوى بينهم وبين من وقعت في أيديهم هذه الأموال^(٢) .

وكان أول من اتجه إلى تعليم الخطابة رجل من أهل جزيرة صقلية يسمى « كوراكس » *Kóραξ*^(٣) ، عرفه العرب باسم « غراب » الخطيب^(٤) . وقد وضع كوراكس لتلاميذه رسالة في صناعة الخطابة غنى فيها بأمرين : أولهما الترتيب ، فإليه ينسب التقسيم الخماسي للخطبة^(٥) ، وثانيهما الأدلة المستقاة من مواضع الممكن وغير الممكن^(٦) .

(١) عبارة سيثرون في كتابه بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : *sublati in Sicilia tyrannis* ، مهمة ، فلا يمكن أن تبين منها أى طاغية يقصد سيثرون ، غير أن آخر طاغية طرد من صقلية هو ثراسوبولوس ، وكان ذلك في عام ٤٦٦ ق م .

(٢) استقى سيثرون ، بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : *Itaque ait Aristoteles* ، ما ذكر عن نشأة الخطابة من كتاب لأرسطو هو *Τεχνῶν συνταγῇ* . وقد ضاع هذا الكتاب الذي لخص فيه أرسطو كل ما عرف في زمانه من قواعد الخطابة وتاريخها .

(٣) أنظر مقال : Aulitzky في *Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie* تحت اسم : *Korax* ، الأعمدة ١٣٧٩ — ١٣٨١ .

(٤) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ٢٥٣ — ٢٥٤ (طبعة ليبسك ، ١٩٠٣) .

(٥) Sandys, Cicero, Orator, introduction, p. v, n. 4.

(٦) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ١١ (١٧١٤٠٢) : *ἔστι δ' ἐκ τούτου τοῦ τόπου* : *ἡ Κόρακος τέχνη συγκεimenή* — عن مواضع الممكن : أنظر أيضاً ص ١٦٤ وما بعدها من كتابنا هذا .

وجاء بعده تلميذه « تيسياس » *Τεισίας*^(١) الذى كان من عادته أن يكتب خطبا يتقاضى عنها أجرا^(٢) . وقد أقام مدرسته أولا فى سراقوسة ؛ ولما لم يطب له المقام فيها ، انتقل إلى ثورى التى أنشئت عام ٤٤٣ ق.م . وفى مقره الجديد درس عليه « لوسياس » *Λυσίας* الذى أصبح فيما بعد من أشهر خطباء أثينه ، وامتاز أسلوبه بأنه السهل الممتنع^(٣) . ويقال إنه لما أرسلت بلدة ليونتيني وفدا يطلب العون من أثينه عام ٤٢٧ ق.م ، كان تيسياس من بين أعضائه^(٤) ، كما كان تلميذه جورجياس . وتقول هذه الرواية إن تيسياس استطاب العيش فى أثينه فاشتغل فيها بتدريس الخطابة ، وكان من بين تلاميذه هناك إيسوقراطيس^(٥) .

والثابت أن تيسياس ألف فى الخطابة كتابا سار فيه على نهج أستاذ « كوراكس » ، وقد ذاع كتابه واشتهر وتداوله الناس^(٦) .

(١) عرف العرب تيسياس ، وقد حرف اسمه إلى تيسناس فى القفطى ، تأريخ الحكماء ، ١٠٩ . وسرد القفطى فى ترجمته حياة غراب الخطيب ذاك الحوار المشهور الذى قيل إنه دار بين كوراكس وتيسياس .

(٢) *Pausanias, VI, 17, 8*

(٣) حياة لوسياس المنسوبة إلى فلوطارخوس ، ١٥ : *παιδευόμενος παρὰ Τεισίᾳ* . أحسن من كتب عن لوسياس هو Jobb فى كتابه خطباء أتيكا *Attic Orators* ، ج ١ ، ص ١٤٣ وما بعدها .

(٤) *Pausanias, VI, 17, 8 : ἀφικόμενον κατὰ πρεσβείαν ὁμοῦ Τεισίᾳ παρ' Ἀθηναίων* هذه رواية ضعيفة إذ يبعد أن يذهب تيسياس إلى أثينه يستعديها على بلدة سراقوسة ، إلا إذا افترضنا أنه بانتقاله إلى ثورى قد قطع كل علاقة بموطنه الأصلي .

(٥) حياة إيسوقراطيس المنسوبة إلى فلوطارخوس ، ٢ .

(٦) سيشرون ، عن الأدلة ، ٢-٦ : *a principe illo et inventore Tisia* . ولكنه يعدل عن هذا رأى فى كتبه الأخرى .

أفلاطون ، فيدروس ، ٢٧٣ ب — ج ، يشير إلى أحد الأمثلة الموجودة فى كتاب تيسياس عن الرجل الضعيف الذى يعتدى على رجل ضخم ، فإذا أراد أن يدفع عن نفسه التهمة قال : كيف يمكن لمثلئ أن يعتدى على مثله ؟ وهو مثال معروف . أنظر : الحكمة العروضية ، ص ٦٨ ، هامش ٢ ؛ وقارن ص ١٠٥ من كتابنا هذا .

وفن الخطابة الذى علمه كوراكس وتلميذه تيسياس كان قاصرا على تلقين مبادئ الإقناع . وقد أثار تعريف مدرستهما للخطابة بأنها منتجة الإقناع : $\pi\epsilon\iota\theta\omicron\upsilon\varsigma$ $\delta\eta\mu\iota\omicron\upsilon\rho\gamma\omicron\varsigma$ ^(١) انتقادات مريرة من الناحيتين الخلقية والفنية ، فمن الناحية الخلقية قد يدعو مثل هذا التهافت على الإقناع إلى أن يحاول الخطيب أن يقنع بأى وسيلة ، وبهذا تتحدر الخطابة إلى مهاوى السفسطة ^(٢) . وهذا هو الجانب الذى أثار غضب الأثينيين على الفن الجديد . ومن الناحية العلمية يعتبر مثل هذا التعريف ناقصا لأنه لا يحدد ما يراد تعريفه ؛ فليس القول وحده هو منتج الإقناع ، بل قد يقنع المال والجاه والجمال وغير ذلك ^(٣) .

ثراسوماخوس :

ومن أعظم معلمى الخطابة الذين ساروا فى أثر تيسياس رجل من بلدة خالقيدون (أو قالخيدون) ولد حوالى عام ٤٥٥ ق.م. وقد ذكره أرسطو مرات فى كتاب « ريتوريقا » ^(٤) ، وردد ابن سينا : نقلا عن أرسطو — اسمه ^(٥) . وجعله أفلاطون فى كتابه « فيدروس » على رأس معلمى الخطابة ^(٦) وأسند إليه

(١) أفلاطون ، جورجياس ، الفصل الثامن ، ١٤٥٣ ؛ القفطى ، تأريخ الحكما . ١٠٩ : « الخطابة المفيدة للإقناع » ؛ ٢٥٣ : « المتخبة للإقناع »

(٢) رعى السفسطائيون بأنهم يعلون الشباب كيف يجعل الدليل الضعيف قويا والقوى ضعيفا . وهذه هى إحدى الإتهامات التى وجهها العامة إلى سقراط (أفلاطون ، الدفاع عن سقراط ، الفصل الثالث ، ١٩ ب) . وقد نسب أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٩٣ ، إلى سقراط تعريفا للخطابة يردد هذا القول : « قيل لسقراطيس الفيلسوف — وكان من خطبائهم — ما صناعة الخطيب ؟ قال : أن يعظم شأن الأشياء الحقيرة ، ويصغر شأن الأشياء العظيمة » .

(٣) ص ٩ ، ١٠ من كتابنا هذا .

(٤) الكتاب الثانى ، ٢٣ — ٢٩ (١٤٠٠ ب ٢٠) . الكتاب الثالث ، ١ — ٧ (١٤٠٤) ١٤ — ١٥ ؛ ٨ — ٤ (٢١٤٠٩) ؛ ١١ — ١٣ (٨١٤١٣)

(٥) أنظر ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤

(٦) أفلاطون ، فيدروس ، ٢٦٦ ج ؛ ٢٧١

في كتاب الجمهورية دور الجدلي العنيد . وقد عني به ثيوفراستوس ، تلميذ أرسطو ، فقال عنه في كتابه « عن الأسلوب » *περι λέξεως* إنه بدأ عصرًا جديدًا في النثر اليوناني^(١)، وخصه الناقد اليوناني الذائع الصيت «ديونوسيوس» بالتفوق في الأسلوب الوسيط الذي لا يهبط إلى السهولة المبتذلة ولا يرتفع إلى الأسلوب الرفيع المتسامي^(٢) . ويمكن أن نستنتج مما ذكره سيشرون في كتابه «الخطيب» أن ثراسوماخوس هو مبتدع النثر الموزون^(٣)؛ وربما كان الخطيب الروماني ينقل ما يرويه عن ثيوفراستوس. ويؤكد أرسطو أن خطباء اليونان بدأوا منذ زمن ثراسوماخوس يستعملون البيان *παιάν* في وزن النثر ، لأن البيان أكثر مواءمة للنثر^(٤) ؛ ولكن أرسطو لا يقول في جلاء إن كان ثراسوماخوس هو أول من ابتدع ذلك . وربما كان هذا هو الحق ، لا سيما إن رجعنا إلى رواية سيشرون .

ومن الثابت أن ثراسوماخوس أغرم بالمحسنات البديعية ، ولا سيما تلك التي تهدف إلى جعل النثر قريبًا من الشعر ؛ وقد امتاز بالقدرة على ابتداع الأفكار والإبداع في التعبير عنها . كما ألف كتابًا في إثارة الشفقة ذكره كل من أفلاطون وأرسطو^(٥) .

(١) أنظر مقال Klaus Oppenheimer في *Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie*

تحت اسم *Thrasymachus* الأعمدة ٥٨٤ — ٥٩٢ ؛

Suidas, S.V. Θρασύμαχος : ὁς πρῶτος περίοδον καὶ κῶλον κατέδειξε

(٢) *Dionys. Hal., Demosth., 3.*

(٣) سيشرون ، الخطيب ، ٣٩ : *hæc tractasse Thrasymachum Calchedonium primum*

(٤) أرسطو ، ٣ — ٨ — ٤ (٣ — ٢١٤٠٩) ؛ أنظر ص ٢٢٤ من كتابنا هذا .

(٥) أفلاطون ، فيدروس ، ٣٦٧ ج ، د ؛ أرسطو ، ٣ — ١ — ٧ (١٥ — ١٤١٤٠٤) ؛

οἶον Θρασύμαχος ἐν τοῖς ἐλλείουσιν

أفلاطون :

أما أفلاطون فقد تعرض للخطابة في كثير من مؤلفاته ؛ ولكنه خصها بكتابين هما : جورجياس وفيدروس . وقد حمل في "جورجياس" حملة عنيفة على الخطابة السفسطائية ؛ بينما هو يحاول في "فيدروس" أن يدلل على أن فن الخطابة الذي يستأهل هذا الاسم يجب أن يركز على علمي النفس والجدل.

يدور النقاش في "جورجياس" حول ماهية الخطابة . ويحاول جورجياس وبولس أن يقدموا تعريفا يتلقاه سقراط بالرضا ، ولكن سقراط لا يجد صعوبة في دحض كل ما يتقدمان به . أما سقراط نفسه فعندما يطالب بتعريف الخطابة ينكر أن الخطابة فن حقيقي يمكن أن يحد على نهج علمي . إذ هي في نظره ملكة أو قدرة على إقناع الجاهل واستمالة النظارة . فهي إذن نوع من التملق^(١)

ويظهر أثر "فيدروس" جليا في كتاب الخطابة الذي وضعه أرسطو . فالفكرة التي بسطها أفلاطون هي التي أفاض تلميذه أرسطو في تنسيقها في الكتابين الأول والثاني من ريتوريقا . ذلك لأن أرسطو في الكتاب الأول من ريتوريقا يبحث في وسائل الإقناع التي تستمد من المنطق ، أعني تلك تؤخذ من الضمائر والأمثلة ؛ أما في الكتاب الثاني فإنه يشرح الجانب النفسي من الخطابة ، فهو يدرس الانفعالات وتأثيرها في الإقناع .

(١) أفلاطون ، جورجياس ، ٤٦٦ أ :

Κολακείας μὲν οὖν ἔγωγε εἶπον μόνον.

أرسطو والخطابة :

وضع أرسطو في الخطابة كتباً عديدة^(١) قبل أن يؤلف كتابه الخالد "ريطوريقا" الذي أصبح العمدة في هذا الفن ، والذي ترجم أكثر من مرة إلى اللغة العربية وصنف له فلاسفة العرب شروحا كثيرة .

ولسنا نعرف على وجه التحديد التاريخ الذي أملى فيه أرسطو كتاب الخطابة . ولكن المعروف أنه ألفه في مدينة أثينا عندما نزع إليها مرة ثانية وأقام بها ثلاث عشرة سنة (٣٣٥ - ٣٢٢ ق . م) . ومن الراجح أن أرسطو ألف هذا الكتاب بين ٣٣٥ - ٣٣٠ ق . م^(٢) .

ويؤيد هذا أن أحدث إشارة يمكن تأريخها على وجه الدقة هي ذكره للصلح الذي تم في كورنث بين الإسكندر الأكبر وبين بقية بلاد اليونان ، ما عدا اسبرطه ، في خريف عام ٣٣٦ ق . م^(٣) .

ويمكن أن نجد تأييدا آخر في كثرة ما اقتطف أرسطو من كتابات إيسوقراطيس على ما عرف من جفاء بينهما . ولا بد أن يكون هذا قد حدث بعد موت إيسوقراطيس عام ٣٣٨ ق . م . والموت يخفف عادة الموجددة ويقضى على كل سخيمة .

(١) Diogenes Laertius, v, 24 . أشار أرسطو ، ريطوريقا ، ٣ - ٩ - ٩ (١٤١٠ ب ٣) إلى أحد هذه الكتب .

(٢) Dufour, Aristote, Rhétorique I, p. 14 - 16 . يظن ديفور أن كتاب الخطابة ألف حوالي سنة ٣٢٩ - ٣٢٣ ق . م

(٣) ٢ - ٢٣ - ١٨ (١٣٩٩ ب ١٢ - ١٣) : καὶ τὸ μετέχειν τῆς κοινῆς εἰρήνης . ولكن أنظر الهامش السابق .

وهل كثرة ما اقتطف أرسطو من مؤلفات إيسوقراطيس ، فن الغريب أننا لا نجد إشارة صريحة إلى ديموستينيس ، أعظم خطباء العالم القديم . فهل يمكن أن يكون العداء المتبادل بين فيليب وابنه وبين زعيم أثينة هو الذى صرف أرسطو (الذى عاش فى بلاط فيليب وعلم الاسكندر) عن الإشارة إلى خطب ديموستينيس ؟

كتاب ريطوريقا :

يعتبر كتاب ريطوريقا من أهم ما ألف أرسطو ، بل هو فى الحق كتاب وحيد فى بابهِ ، أتى فيه أرسطو على تجارب خطباء اليونان ومؤلفى كتب الخطابة من قبله . وينفرد هذا الكتاب بشئ من وضع أرسطو نفسه ، ألا وهو تطبيق المنطق على الخطابة . فكتاب ريطوريقا إن هو إلا دراسة جديدة للخطابة على ضوء علمى الجدل والنفس .

وجه أرسطو قارص لومه إلى مؤلفى الرسائل التعليمية *τέχναι* لإهمالهم الجانب المنطقى من الخطابة وإسهابهم فى شرح الخارجيات ومحاولات التأثير على القضاة^(١) .

ولكن مذر هؤلاء أنهم لم يعرفوا "عمود" الخطابة فهو من وضع أرسطو .

وقد تُرجم كتاب ريطوريقا إلى اللغة العربية أكثر من مرة : فهناك محاولة أولى يسميها ابن النديم "النقل القديم" ، دون أن يذكر اسم مترجمها ولا زمانه .

(١) انظر كتابنا هذا ص ١٢٠٨ .

ولكنه يقول إنه رآها في نحو مائة ورقة بخط أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ الكندي ومعلم المعتضد^(١) .

أما الترجمة الثانية فنسب إلى اسحق بن حنين المتوفى سنة ٥٢٩٨ هـ أو سنة ٥٢٩٩ هـ .
غير أن ابن النديم يردد في قبول هذه الرواية التي يصدرها بكلمة " قيل " ^(٢) .

وكان هناك ترجمة أخرى قام بها إبراهيم بن عبد الله وهو الذي نقل المقالة الثامنة من كتاب طوييقا^(٣) .

وقد بقيت لدينا ترجمة وحيدة لا نستطيع أن ننسبها إلى أحد ، فلسنا ندرى من ترجمها ولا في أى زمن ترجمت^(٤) .

ولكني أظن أنها هي ذاك النقل القديم ، لما فيها من أخطاء تؤذن بأنها محاولة أولى .

وقد شرح الفارابي كتاب ريطوريقا شرحا ذاع وانتشر^(٥) وبقي حتى اطلع عليه ابن رشد^(٦) وإن لم يصل إلينا .

(١) الفهرست ، ص ٢٥٠ (طبعة فلوجل) ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢) الفهرست ، ص ٢٥٠ : " وقيل إن اسحق نقله إلى العربي " ؛ القفطي تاريخ الحكماء ، ص ٣٧ .

(٣) الفهرست ، ص ٢٤٩ ؛ Khalil Georr, Les catégories D'Aristote, p. 197 .

(٤) Kalil Georr, Les catégories d'Aristote, p. 186-9. فيه وصف للخطوط ؛ Steinschneider, 48 ؛

Wenrich, 133 ؛ الحكمة العروضية ، ص ٨ وما بعدها .

(٥) الفهرست ، ص ٢٥٠ : " فسر الفارابي أبو نصر " ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٧ ؛
الفهرست ، ص ٢٦٣ : " وفسر الفارابي من كتب أرسطاليس مما يوجد ويتداوله الناس ...
كتاب الخطابة أروطوريقا " .

(٦) ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، ص ٢٩ (طبعة القاهرة) ؛ ابن رشد ، تلخيص الشعر ، ص ٤٤
(طبعة لازينيو Lasinio)

وشرحه ابن سينا كاملا في الشفاء . واختصه قبل ذلك وهو شاب في الحادية والعشرين من عمره بفصل موجز في كتاب المجموع أو الحكمة العروضية فسر فيه الكتاب الأول من ريتوريقا ، خلا الفصل الأخير الذي يبحث في الأدلة التي ليست عن صناعة^(١) .

وعلق ابن سينا على هذا الجزء بعينه من السفر الأول من كتاب ريتوريقا في بعض كتبه الأخرى كالبهجة في المنطق^(٢) .

وقد حاولت أن أدلل عند نشري للفصل الذي يبحث في معاني كتاب ريتوريقا من كتاب المجموع أو الحكمة العروضية على أن ابن سينا لم يطلع إلا على الترجمة العربية التي وصلت إلينا والتي نجدتها في مخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس . فابن سينا ينقل عن هذه الترجمة نقلا حرفيا^(٣) ، ويردد الكثير من أغلاطها دون أن يدرك أنها لا تمت إلى أرسطو^(٤) .

ومع ذلك استطاع ابن سينا بثاقب فكره وتمكنه من المبادئ الأرسطية واطلاعه على مؤلفات أرسطو الأخرى وشروحها العربية أن يتبين بعض مواطن الخطأ في الترجمة العربية . ونجدته في " الحكمة العروضية " وهو شاب لم تكتمل

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع أو الحكمة العروضية ، في معاني كتاب ريتوريقا (طبعة محمد سليم سالم)

(٢) الأب فتواقي ، مؤلفات ابن سينا ، ص ١١٢ رقم ٤٢ (البهجة في المنطق) ؛ ص ١١٤ رقم ٤٤ (الموجز) ؛ انظر : الحكمة العروضية ص ٤٥ هامش ٢ .

(٣) رد ابن سينا تعريف الخطابة كما جاء في الترجمة العربية القديمة ، ١٣ : ٢٤ : "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة" في كتابنا هذا ص ٢٨ ؛ وفي الحكمة العروضية ، ص ١٥ . ونقل من الترجمة العربية (١٦ : ١٨ — ٢٠) نقلا حرفيا في الحكمة العروضية ص ٦٠ .

(٤) انظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ١ ؛ ص ٣٤ هامش ٢ ؛ ص ٣٥ هامش ١ ؛ ص ٣٦

هامش ١ ؛ ص ٣٨ هامش ١ ؛ ص ٤١ هامش ٢ ؛ ص ٤٣ هامش ٢ ؛ ص ٤٩ هامش ١ ؛ ص ٥٢

هامش ٤ ؛ ص ٥٥ هامش ٢ ؛ ص ٥٦ هامش ١ ؛ ص ٦٢ هامش ٣ ؛ ص ٦٣ هامش

٥ ؛ ص ٦٤ هامش ٢ ؛ ص ٦٥ هامش ٥ ؛ ص ٧١ هامش ١ ؛ ص ٣٦ ، ٤ ؛ ص ٧٤

هامش ١ ؛ ص ٧٥ هامش

قوته يتردد في الجهر بذلك ، أما في ” الشفاء “ فيبدو أكثر جرأة لأنه أغزر
 علما . وأول نقد وجهه ابن سينا لترجمة كتاب أرسطو جاء في كتاب المجموع
 أو الحكمة العروضية عند بحثه في أجناس الكلام الريطوري وأغراض كل قسم .
 ولم يكن ابن سينا يعتمد في تفهمه لهذا الجزء من كتاب ريطوريقا على الترجمة
 العربية وحدها ، لأن بعض أجزاء هذه الترجمة كما وصلت إلينا — وربما لم تك
 أحسن حالا في زمن ابن سينا — لا يمكن أن تؤدي أى معنى ^(١) . ولدينا أدلة
 كثيرة على أن ابن سينا في شرحه لكتاب ريطوريقا لم يعتمد على الترجمة العربية
 فقط بل رجع إلى كتب أرسطو في السياسة والأخلاق وإلى رسالة في آراء
 أهل المدينة الفاضلة للفارابي ^(٢) . ومن الصعب أن يقال إنه لم يشرح
 الفارابي للخطابة .

ولا يحجم ابن سينا في كتاب الشفاء عن أن يعلن أن هناك أجزاء في الترجمة
 العربية لم يستطع فهمها ؛ فهو يقول في ص ٨١ من كتابنا هذا : ” وأورد
 لهذا الباب أمثلة في التعليم الأول لم أفهمها “ ^(٣) ؛ واللوم لا يقع على الشيخ
 الرئيس وإنما على المترجم ، فليس هناك ذكاء بشري يستطيع أن يفقه معنى
 للألفاظ المرصوفة التي نجدتها في الترجمة العربية كما وصلت إلينا ^(٤) . وواضح
 من كلام ابن سينا أنه لم يحظ بنص أفضل .

(١) الحكمة العروضية ، ص ١٩ ، ولا سيما هامش ٢ .

(٢) انظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ٢ ؛ وكتابنا هذا ص ٦٢ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٣٨
 هامش ٣ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٤٠ هامش ٢ ؛ ص ٤١ هامش ٤ ؛ وكتابنا هذا
 ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣) انظر أيضا ص ٢٢٤ من كتابنا هذا : ” ويشبه — والله أعلم — ... “ ؛ ” ثم اليونانيون
 في هذا الباب أحوال لم تحصلها ... “ .

(٤) الترجمة العربية القديمة ١٢٦ ب ٢١ — ١١٣١ ؛ أرسطو ، ١ — ٧ — ٣٢ ، ٣٣
 (١٣٦٥/٢٤ وما بعده) .

ونجد في كتاب الشفاء أمارات على أن ابن سينا ربما يكون قد اطلع على شروح وضعها غيره لكتاب ريطوريقا .

فهو يقول بجلاء عند محاولته التفرقة بين المقنع الحقيقي وبين ما يرى مقنعا :
”فهذا هو الفرق بين المقنع الحقيقي وغير الحقيقي ، لا وجوه أخرى قيلت في كتب خطابية لأقوام محدثين“ (١) .

ويحذرننا ابن سينا عند شرحه لتعريف الخطابة من السير في أثر من أخطأوا في تحديد معنى ”الإقناع الممكن“ ، فيقول : ”ولا يلتفت إلى تفسير آخر“ (٢) .

وقد ردد ابن سينا في أكثر من مكان واحد عبارات يفهم منها مخالفته لشرح آخرين تعرضوا لمناقشة تلك الأصول التي يتناولها بالبحث في كتابه . فيقول :
”هكذا ينبغي أن يفهم هذا الموضع“ أو ”والأحب إلى أن يفهم هذا الفصل هكذا“ (٣) .

وأهم من ذلك كله تلك المواضع التي تظهر من ناحية مخالفة ابن سينا لغيره من الشراح ، ومن ناحية أخرى عدم رضائه عن الترجمة العربية ، ومطالبته من يعرفون اللغة اليونانية بالرجوع إليها .

ومن هذه الأمثلة ما نجده في صفحة ٨١ من كتابنا هذا . فابن سينا يردد أولا عبارة الترجمة العربية ، ١٣ ٥ ١ - ٦ ، وهي : ”والصحة أفضل من الضعف ، لأن تلك له ، فأما هذا فلا“ ، ثم يضيف : ”وقد فهم من الضعف الضعف بمعنى اليسار وتضاعف المال ، وفهم من الخاص ليس الخاص بالغاية ، بل الخاص بالكاسب“ . ولكن ابن سينا لا يرضى عن هذا الرأي ، ولا يوافق على الترجمة ، فيجهر برأيه قائلا : ”وعندي أنه وقع في النسخ غلط ،

(١) أنظر ص ٢٦ من كتابنا هذا .

(٢) أنظر ص ٢٩ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ .

ويجب مكان الضعف عدم الضعف أو مابه وهو القوة . ولكن يجب أن يرجع إلى الأصل اليوناني “ .

فاذا رجعنا إلى النص اليوناني رأينا صدق حدس ابن سينا . فالترجم إلى اللغة العربية قد أخطأ . لأن أرسطو ، ريطوريقا ، ١ - ٣٥٤٧ (١٣٦٥) ٣٥ - ٣٦) ، لا يتحدث عن الصحة والمرض ، ولا عن الصحة والمال ، ولا عن القوة وعكسها ، بل يذكر أن الممكن أفضل من غير الممكن :

Kai tò δυνατόν τοῦ ἀδυνάτου· τὸ μὲν γὰρ αὐτῶν, τὸ δ' οὐ.

وقد أشار ابن سينا في صفحة ٧٤ من كتابنا هذا إلى رأى لأحد من تصدوا للتعليق على كتاب ريطوريقا ، فشرح ابن سينا ذاك التفسير ووضحه ، وبَيَّن أن الخلاف في هذا الموضوع يدور أيضا حول قراءة ، كلمة “الضعف” وهل هي بكسر الضاد أم بفتحها .

يقول ابن سينا : “ وإذا دام الإذعان للحن واشتد الضعف والخوف حتى جاوز بالحق وقت الضرورة أورث الاستيحاش لا محالة . وقد فهم بعضهم من الضَّعْف الضَّعْف وهو التضاعف ، فكان معناه أن الشيء إذا تضاعف أُمِّلَ وإن كان قبله سهلا “ .

غير أن ابن سينا هنا لم يدرك ، كما أدرك في صفحة ٨١ ، أن المترجم إلى اللغة العربية ربما يكون قد أخطأ ، فضلَّ وأضل ، وقاد إلى الاختلاف حيث لا خلاف . ذلك أننا لو رجعنا إلى الأصل اليوناني لوجدنا أن أرسطوطاليس^(١) لا يبحث في ضعف أو خوف ، وإنما في حد الصعب τὸ χαλεπὸν الذي يعرف أو يميز بما يصاحبه من ألم أو بما يستغرقه من زمن . غير أننا نستطيع أن نتبين في الترجمة العربية التي وصلت إلينا ذكرا للخوف والحزن والضعف^(٢) .

(١) أرسطو ، ١ - ٦ - ٢٧ (٢٣١٣٦٣ - ٢٤) :

τὸ γὰρ χαλεπὸν ὀρίζεται ἢ λύπη ἢ πλήθει χρόνου.

(٢) الترجمة العربية القديمة ، ١٠١ - ٢٣ : « لأن الضعف . . الحزن في طول

الزمان » . ومن الواضح أن المترجم عَرَّبَ كلمة λύπη (ألم) بالحزن .

وهناك موضع جدير بالذكر بحث فيه ابن سينا أمثلة ساقها «رسطو للتدليل» بها على المغالطات السفسطائية . وقد قرر ابن سينا أنها من باب اللواحق أو جزئية اللواحق ، وهو على حق في ذلك ، غير أنه يرى أنها تأخرت عن مكانها لغلط من النساخ^(١) . فإذا رجعنا إلى الأصل اليوناني وجدنا أنها في مكانها ؛ إلا أن ابن سينا صادق الحدس ، فهناك خطأ في الترجمة العربية ، لأن أرسطو يصدر هذه الأمثلة بما يدل على بابها^(٢) . ومن الجائز أن يكون المترجم قد صحف كلمة $\epsilon\pi\omicron\mu\epsilon\nu\omicron\nu$ فقرأها $\epsilon\pi\omicron\mu\epsilon\nu\omicron\nu$ (٣) .

وفي موضع آخر نجد أن ابن سينا قد أحس بأن هناك خطأ ما في الترجمة العربية ، ولكنه لا يجزم بذلك ، فقد تكون الترجمة صحيحة ، ويكون التأويل كفيلا بأن يزيل ما بها من صعوبة^(٤) . فإذا ما رجعنا إلى الأصل اليوناني^(٥) ، وضع لنا أن المترجم أخطأ^(٦) ؛ وأن خطأه قد أضل من ساروا على هديه . فأرسطو لا يذكر هنا شيئا عن القضاء أو القدر ، وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو إلى البحث في إثبات ”لا“ أو حذفها ، لأن الترجمة العربية قد بعدت عن الأصل اليوناني .

(١) ص ١٩٠ من كتابنا هذا : «وعندى أنها قرينة من باب اللواحق ، أو جزئية اللاحق ، وأنه تأخرته للغلط من النساخ» .

(٢) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ٧ (١٤٠١ ب ٢٠ — ٢١) :

$\alpha\lambda\lambda\omicron\varsigma\ \tau\omicron\ \pi\alpha\rho\alpha\ \tau\omicron\ \epsilon\pi\omicron\mu\epsilon\nu\omicron\nu$.

(٣) قارن ص ١٨٩ من كتابنا هذا : «ومن ذلك قوله : ينبغي أن يفهم على ما أصدرته» .

(٤) ص ١٥٠ من كتابنا هذا : «وقيل في التعليم الأول : فاما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضاء . يشبه أن تكون لفظة ”لا“ قد وقعت زائدة مبها من الناقلين أو غيرهم ، أو يشبه أن يكون معناه بلا حتم من الكاسيين ، ولا تقدير منهم ، فيكون كأنه قال : بلا توقع من الناس وتقدير» .

(٥) أرسطو ، ٢ — ٩ — ٢ (١٣٨٦ ب ١٥) : $\tau\omicron\iota\varsigma\ \delta\epsilon\ \epsilon\upsilon\ \nu\epsilon\mu\epsilon\sigma\alpha\upsilon$

(٦) الترجمة العربية القديمة ، ٣٣ ب ١٨ — ١٩ : « فاما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضى فينبغي أن ... » .

المخطوطات

اعتمدت في تحقيق نص كتاب الخطابة على تسعة مخطوطات ، منها ما هو تام كامل لم يفقد منه شيء ، ومنها ما ضاعت منه وريقات عدا عليها الدهر فأطارها من مكانها ، ومنها ما لم يبق منه إلا فصول قليلة .

وهذه المخطوطات هي :

- (١) مخطوط بنحيت (مخطوط الأزهر) ورمزه ب
- (٢) » العطار » ح
- (٣) » داماد الجديد » سا
- (٤) » سليمانية (داماد) » س
- (٥) مخطوط المكتب الهندي » هـ
- (٦) » المتحف البريطاني » م
- (٧) » نور عثمانية » ن
- (٨) » دار الكتب (١٨٩٤ فلسفة) » د
- (٩) » » » (١) (٢٦٢ فلسفة) » دا

وترجع هذه المخطوطات إلى أزمنة مختلفة ، وقد كتبت بخطوط متباينة ، في بلاد متفرقة ؛ وهي تنقسم إلى فصائل أو عائلات سنحاول أن نتبينها فيما يأتي ، لأنه على قدر معرفتنا بتاريخ كل مخطوط وصلته بغيره يمكننا أن نقدر قيمة القراءات التي نجدها فيه .

وأفضل هذه المخطوطات وأصحها هو المخطوط الذي كان يملكه المرحوم الشيخ محمد بنحيت المطيعي مفتي الديار المصرية .

وقد وقفه على أهل العلم سنة ١٣٢٨ هـ ، وهو الآن محفوظ بمكتبة الجامعة الأزهرية .

وقد كتب بخط نسخي ، قليل النقط ، ولكنه واضح أشد الوضوح ، ويحتمل أنه يرجع إلى القرن السابع الهجري .

وتوجد على هامشه قراءات وتفسيرات ، أخذت على ما يظهر من الأصل الذي نسخ منه ؛ لأن هناك ألفاظا وشروحا مما يكتبه الناس على الهوامش قد تسربت إلى المتن ؛ لأن الناسخ يظنها عادة تصحيحات . ومن هذه الألفاظ في مخطوط الأزهر كلمتا المشورة والمشير اللتان حلتا مكان لفظين لم يفهمهما الناسخ وهما التفسير والمفسر . وقد حدث ذلك في ص ١٨ من ١٠ ، ١٣ ، ١٤ وفي الموضوع الأخير نجد ” المشورة أو المدح ” وهما شرح وشرح للشرح ، وقد تسرب كلاهما إلى المتن . وكذلك نجد المشورة بدلا من التفسير في ص ١٩ من ٥ ، ١٢ ؛ وفي ص ٢٠ من ١ . ونجد كذلك المشير بدلا من المفسر في ص ١٩ من ١ . ومما يؤيد رأينا هذا أننا نجد في ص ١٩ من ١٢ لفظ التفسير في المتن ، بينما نقرأ ” المشورة ” في الهامش ، ولعل وجود اسم الإشارة المفرد المذكور قبل كلمة التفسير حال بين الناسخ وبين التبديل .

و يأتي بعد مخطوط الأزهر في الجودة والإتقان قطعة من كتاب الشفاء كان يملكها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر .

وهذه القطعة كتبت بخط جميل ، وقد ضبطت كلماتها بالشكل وبذلت عناية كبيرة في وضع النقط . وقد قويات بعد أن تم نسخها على مخطوط آخر ، يدلنا على ذلك كتابة القراءات المختلفة فوق الكلمات المقابلة أو تحتها . وقد يكون تاريخ نسخ هذه القطعة متأخرا ، ولكنها قد نقات عن أصل قديم .

وهذه القطعة محفوظة بمكتبة المجلس البلدى بسوهاج ، عاصمة مديرية جرجا ،
تحت رقم ٣٩ منطق .

وأوراقها غير مرتبة ، وقد قمت بترتيب اللوحات الشمسية التى اقتنتها دار
الكتب المصرية (٣٠٧٨ و) ليسهل الاطلاع عليها .

وبهذه القطعة ، فضلا عن أجزاء من كتاب السفسطة ، المقالة الأولى من
كتاب الخطابة ، والفصل الأول وجزء من الفصل الثانى من المقالة الثانية من
كتاب الخطابة أيضا . وبالجزء الذى وصل إلينا من كتاب الخطابة نقص (نحرم)
يبدأ بعد كلمة موته (ص ٦٨ س ٣) وينتهى بعد كلمة عديدة (ص ٦١ س ١) من
كتابنا هذا . ونجد فى نهاية القطعة التى لدينا مكتوبا بخط ناسخها : « تم الجزء
التاسع من كتاب الشفاء من المنطقيات والله الحمد والمنة ، يتلوه إن شاء الله الجزء
العاشر فصل فى المنافريات وهو باب المدح والذم » . ووجه الغرابة فى هذا
الانتهاء أن الفصل الثانى من المقالة الثانية لا ينتهى عند الكلمات : كان ممكنا
فعله (ص ٧٣ س ١٢ من كتابنا هذا) . ثم إن الفصل الذى يتلوه هو
فصل فى الأشد والأضعف وختم القول فى المشوريات ؛ أما المنافريات فتأتى
فى الفصل الرابع . على أن هذا الختام يدلنا على أن القطعة التى وصلت إلينا كانت
قسما من الجزء التاسع ، وأنه قد سبقها وتلاها أجزاء أخرى .

وهذه القطعة الباقية تتبع الفصيلة أو العائلة التى ينتمى إليها مخطوط الأزهر .
وآية ذلك اتفاقهما فى أكثر القراءات إن لم يكن كلها ، إذا صرفنا النظر عن
الأخطاء التى تنسب عادة إلى النساخ . ومما يؤيد هذا رأى سقوط موضعين
هامين من كل منهما ، ربما لم يكونا فى الأصل الأول ، وأحدهما فى ص ٥٨ ،
س ١٤ من كتابنا هذا ، وهو « والمتعطل أقعدته الزمانة والعلّة عن الاحتراف » .

ويشارك هذين المخطوطين في سقوط هذا الموضع مخطوطا سليمانية (داماد)
وداماد الحديد . أما عن صلة المخطوط الأخير (داماد الحديد) بمخطوط العطار
فسأتكلم عنها فيما بعد ، وأما عن صلة مخطوط سليمانية (داماد) بمخطوط الأزهر فيكفى
أن أشير هنا إلى أن محقق المدخل (إيساغوغى) ، مقدمة ، ص (٧٥) ظنوا أنهما
من أصل واحد ، لأنهما يلتقيان في أكثر من موضع . وثانيهما في ص ٧١ س ١٠ - ١١
من كتابنا هذا وهو : « والأفضل أزيد على ما هو دونه ، فيكون الشر الأكبر
الذى هو في نفسه أخص أنقص في الحقيقة » . ويشاركهما في هذا النقص
مخطوط سليمانية (داماد) وحده .

ومخطوط داماد الحديد الذى ذكرت آنفا أنه مرتبط بمخطوطى الأزهر
والعطار من أنفس المخطوطات التى وصات إلينا : خطه نسخى جميل ، وكتاباته
مضبوطة بالشكل ، وعناوين فصوله كتبت بخط كبير جدا . ويكفينا
في التدايل على صلة هذا المخطوط بمخطوط العطار أن أشير إلى قراءة عجيبة توجد
في كليهما . يقول ابن سينا في ص ١٤ س ٣ من كتابنا هذا : كعاقدة ، ولكن
يظهر أن الأصل الأول الذى ينتمى إليه مخطوطا العطار وداماد الحديد كانت به
حروف غير واضحة قرأها الناسخون « جمع هذه » . وينفرد هذان المخطوطان
أيضا بقراءات نذكر منها على سبيل المثال : ص ٧ س ٤ : الأولتين ؛
ص ١٠ س ٣ : يشرعه ؛ ص ٢٥ س ٥ : المقابلات ؛ ص ٥٥ س ٧ :
لفرض ؛ ص ٦٢ س ٧ - ٨ : بتدبير يتدبره .

ويرجع مخطوط داماد الحديد إلى أوائل القرن الثامن الهجرى .
وقد كتب في آخره بخط ناسخه أنه اتفق لإنجازه في مستهل ربيع الأول من
شهور سنة عشرين وأربعمائة ، وجاء في هامش آخر صفحة منه : « بلغ قراءة
(٢٧)

ومقابلة وأنا مؤلفه أبو علي الحسين الشهير بابن سينا . . . بثالث رغب ٤٢٢هـ .
ولما كان المخطوط الذي وصل إلينا لا يمكن أن يكون من القرن الخامس
الهجرى ، ولا يمكن أن يكون قد قرئ على ابن سينا نفسه لأن به مواضع كثيرة
قد سقطت سهوا من الناسخ ولم تصحح عند المقابلة ، فمن المحتمل — إن أردنا
أن لا نرمي الناسخ بجرمة التروير والترفيف — أن نعتبر أن التاريخ المذكور
في المخطوط وأن الحاشية المكتوبة في الهامش كانا في المخطوط الذى نقل عنه
مخطوطنا ، وأن الناسخ — وهو بالأكيد غير محترف — قد نقل حرفيا ما وجد أمامه .

وهناك فصيلة أو عائلة ثانية من المخطوطات التى وصلت إلينا تتميز عن
العائلة السابقة التى مثلتها بمخطوطات الأزهر والعتار وداماد الجديد ؛
وهذه الفصيلة الثانية تتمثل بأوضح بيان فى مخطوطى سليمانىة (داماد) والمكتب
الهندي ؛ وينتمى إليها أيضا مخطوط دار الكتب المصرية (٨٩٤ فلسفة) .

فمخطوط سليمانىة (داماد) مخطوط ثمين حقا ، كتب بخط واضح قليل النقط ،
غير أنه إذا نقط فكثيرا ما يفعل ذلك بمنائة ودقة ؛ وهو خال من الشكل ،
ولكنه يضع أحيانا علامة التشديد . ولسنا نعرف اسم ناسخه ولا مكان نسخه ؛
ولكن ذكر فى آخره أنه فرغ من نسخه سنة ٨٣٤ هـ . وقد فقدت منه أوراق
أشرت إليها فى موضعها من كتابنا هذا .

أما مخطوط المكتب الهندي فقد كتب فى كشير عام ١١٤٨ هـ نقلا عن
نسخة ترجع إلى سنة ٨٩١ هـ ، كتبه ناسخ متمرن بخط نسخى واضح منقوط دائما .
وقد قوبل على نسخة أخرى تنتمى إلى فصيلة (ب ، ح ، سا) السالفة ، وقد
كتبت القراءات الجديدة والتصحيحات تارة فى الهامش وتارة فوق الكلمة أو تحتها .
ومما يدل على الصلة الوثيقة بين مخطوطى سليمانىة (داماد) والمكتب الهندي ،
ويبرهن فى الوقت نفسه على أنها من عائلة متميزة ، انفرادهما دون بقية المخطوطات

بقراءات كثيرة ، يثير بعضها اهتماماً شديداً ، ومن هذه القراءات : ص ٥
س ١٠ : كله ؛ ص ١٢ س ٥ : فالعمود ؛ ص ١٦ س ١٧ : به ؛ ص ٢٤
س ١١ : فضيلة ؛ ص ٢٧ س ٥ : نفس ؛ ص ٢٩ س ١٢ : فاذا ؛ ص ٢٩
س ١٥ : بما ؛ ص ٣٠ س ٧ : تعاطى ؛ ص ٣٠ س ٣ : وليس ؛ ص ٣١
س ١ : المخاطبة ؛ ص ٣١ س ٢ : أكثرية ممكنة ؛ ص ٤٢ س ٥ : فيها .

وابتداء من ص ٤٤ يكثر انفرادهما بقراءات وسقوط ألفاظ بعينها من كليهما ؛
نذكر منها الأمثلة الآتية :

ص ٧٠ س ١٢ : الجسم ؛ ص ٨٥ س ٥ : خلافة ؛ ص ٨٧ س ٥ : الحلم ؛
ص ٩٢ س ٢ - ٣ : فعل مثله فعلا ؛ ص ٩٢ س ٩ : استكره ؛ ص ٩٨
س ٦ : وهم ؛ ص ١١٤ س ٦ : اليدين ؛ ص ١١٥ س ٨ : مما يفعله
من القبيح ؛ ص ١١٨ س ٢ : بحسب قوله ومخالفته للواجب حين يقول ؛
ص ١٢٦ س ١ : كما في المشاجرة إلى اليمين ؛ ص ١٣٨ س ٦ : فان الكسل .

وأحسب هذه الأمثلة كافية لإثبات الصلة الوثيقة التي تربط بين مخطوطي
سليمانية (داماد) والمكتب الهندى .

ولكن ناسخ مخطوط المكتب الهندى قد أتيح له أكثر من أصل واحد .
ولذلك نلاحظ تشابها بين مخطوطي المكتب الهندى ودار الكتب (٨٩٤ فاسفة)^(١) .

وهذا المخطوط (دار الكتب رقم ٨٩٤ فاسفة) يرجع إلى القرن الحادى عشر ،
وهو مكتوب بخط تعليق دقيق ، خال من النقط والشكل ، صعب القراءة

(١) أنظر ص ١٤٩ س ٨ : الإنسان ، بالإنسان ؛ ص ١٥٠ س ٣ : بسبب شر ؛ ص ١٥٠

س ٨ : ليس ، ص ١٥٠ س ١٢ : والنقمة وهو ؛ ص ١٥١ س ١٦ : بل ؛ ص ١٥٣ س ٨ : أن .

على المبتدىء ؛ ولكن بينه وبين مخطوط المكتب الهندى ارتباط ، كما يتفق مع مخطوط نور عثمانية فى بعض القراءات .

بقى علينا أن نستعرض ثلاثة مخطوطات هى : مخطوط المتحف البريطانى ومخطوط نور عثمانية ومخطوط دار الكتب المصرية (٢٦٢ فلسفة) . وقد أثرنا بحثهما معا ، لأنها متصلة فيما بينها ، ولكنهما لا تكون فصيلة قائمة بذاتها .

فمخطوط المتحف البريطانى قد يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو مكتوب بخط نسخى منقوط دائما ، ولكن نقطه لا يوثق به فى كل حالة ، وإن بقيت فيه قراءات ممتازة ، أذكر منها فى ص ١٨٩ س ١٣ : تخلى ، التخلي ، وهى القراءة التى تتفق والنص اليونانى ؛ وكذلك فى ص ١٣٢ س ٥ : يتطانون .

وبين مخطوطى المتحف البريطانى ودار الكتب (د ١) صلة ما ، فهما يقسمان المقالة الثالثة إلى سبعة فصول ، ويتركبان أول المقالة بدون عنوان ، وكأنه مقدمة .

أما مخطوط نور عثمانية فالأغلب أنه يرجع إلى القرن العاشر وليس به ذكر لتأريخه ولا مكان نسخه ، وخطه نسخى ونقطه قليل جدا حتى كأنه غير منقوط . وبينه وبين مخطوط المتحف البريطانى تشابه كبير . وكذلك نجد فيه قراءات عديدة تربطه بمخطوط دار الكتب (د ١) .

أما مخطوط دار الكتب (د ١) فقد كتب عام ١٣٣٧ هـ ، ١٩١٩ م بأيدى نسخاء مختلفين من نسخة تصعد إلى سنة ٩٩٢ هـ ، وأصل هذا المخطوط ، على ما سمعت ، نسخة ثمينة كان يملكها والد الدكتور محمد نور الدين المحامى بالاهرة ، ولكنها بيعت إلى أحد الأجانب وأخرجت من الديار المصرية . ولو أن دار الكتب المصرية أمرت بتصوير الأصل ، لأعطينا نسخة يمكن الاعتماد عليها . أما المجلدات التى تقتنيها الآن فقد أفسدها النساخ الذين لم يكن لهم من هم إلا السرعة . ولذا صرفت النظر عن هذا المخطوط ولم أذكره إلا إذا كان هناك فائدة محققة .

القرن الثامن

من

الجملة الأولى

من

المنطق

رِيطورِيقا

أربع مقالات

المقالة الاولى

سبعة فصول
